وتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم واني ما هو مشتغل به من العلوم التي هي و
سايله الى الدنيا الحامن سلوك طريق الاخرة والدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا
عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من
اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سياتي في كتاب العزلة بيانه و
لذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى
معه الا كان اثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة
الناس لا ينفك عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت عن منكر واحسن احواله ان يفيد
علما وتامل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك الة في طلب الدنيا وشبكة ووسيلة
الى الشر فيكون هو معينا له وردا وظهيرا ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق
فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو والذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقراين
احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتي عشرة علامة من علامات
علماء الاخرة ويجمع كل واحدة منها جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد الرجلين اما متصفا
بهذه الصفات واما معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلتبس على نفسك
بان تلقب الة الدنيا بالدين وسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك
بزمرة الهالكين الايسين نعوذ بالله من خدع الشياطين فبها هلك الجمهور ونسال الله تعالى ان يجعلنا
ممن لا تغره الحيوة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع في العقل وشرفه واقسامه

وحقيقته بيان شرف العقل اعلم ان هذا لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من
قبل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري مجرى الثمر من الشجرة والنور من الشمس
والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والاخرة او كيف يستراب
فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم حتى اذا عظم البهايم بدنا واشدها ضراوة واقواها
سطوة اذا راى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه بما خص به من ادراك
الحيل ولذلك قال عليه الصلوة والسلام الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك
لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك
ترى الاتراك والاكراد واجلاف الخلق مع قرب رتبتهم من البهايم يوقرون المشايخ بالطبع
ولذلك قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه حين تكحلوا
بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلالا على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان
ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما ورد
به الاخبار والايات في ذكر شرفه وقد سماه الله نورا في قوله الله نور السموات والارض وسمي
العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحيات فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال او من كان ميتا

فاحييناه

فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات
الى النور وقد قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم
به وما نهيتم عنه واعلموا انه مجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان ذميم النظر
حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله وان كان جميلا عظيم الخطر
شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقرد والخنزير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتر بتعظيم اهل الدنيا اياكم
فانكم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال
ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك
اثيب وبك اعاقب فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا
فكيف يكون جوهرا قائما بنفسه لا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا الان ذكر علوم المعاملة
وعن انس بن مالك قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما ترتفع العباد غدا في الدرجات
زلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل
يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال
صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله
فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء
دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفاجر لو كنا نسمع او نعقل ما كنا
في اصحاب السعير وعن عمر رضي الله عنه انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سالتك فقال كما قلت ثم قال سالت جبريل ما السودد
فقال العقل وعن البراء قال كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها
الناس ان لكل شيء مطية واحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة افضلكم عقلا وعن ابي هريرة قال
لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان
وفلان بلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به
قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت
نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان
يوم القيمة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب انه
صلى الله عليه وسلم قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل وجد المؤمنون من
بني آدم على قدر عقولهم فاعلمهم بطاعة الله اوفرهم عقلا وعن عائشة قالت قلت يا رسول
الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الاخرة قال بالعقل قلت اليس
انما يجزون باعمالهم فقال يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله من العقل فبقدر

Copyright © King Saud University